المسكيني الصغير

البحث عن رجل يحمل عينين فقط

المسرح الثالث



بسم الله الرحمن الرحيم

- مسرحية **البحث عن رجل يحمل عينين فقط.**
- المؤلف المسكيني الصغير
- الطبعة الأولى 1993 – الدار البيضاء – المغرب

- تصميم الغلاف الفنان حسن السنوسي.
- منشورات مركز المسرح الثالث للأبحاث والدراسات الدارمية.
- الإيداع القانوني رقم 1993/3.
- طبعة ثانية 2001 : دار نشر المعرفة
- السحب : مطبعة المعارف الجديدة – الرباط

المسكيني الصغير

البحث عن رجل يحمل عينين فقط

منشورات مركز المسرح الثالث للبحوث والدراسات الدرامية
المغرب ـ 1993

المسرحي سياسي... وزيادة .!؟!

المسكيني الصغير

هو الذي رأى...

اكويندي سالم

يتكون نص مسرحية «البحث عن رجل يحمل عينين فقط» من بابتين هما : بابة طيف الخيال، وبابة عجيب وغريب[1]. ونلاحظ أن المؤلف لم يعنون هاتين البابتين، وكأنه يريد أن يضعنا أمام بابتين مفتوحتين، غير أن شخصيات مسرحيته «البحث عن رجل يحمل عينين فقط» تفصح عن مثل هذا التمديد والعنونة، إلا أنه يرد في المسرحية إيبيلوج جماعي يطالب المخايل محمد شمس الدين ابن دانيال أن تكون البابة الثالثة هي بابة الحرب أو اللعب بالنار، والتي هي حسب هذا الحوار «بابتنا جميعا»، وهذه البابة التي تطالب بها شخصيات المسرحية هي

(*) هذا المدخل التقديم عبارة عن جزء من دراسة، بعنوان في قراءة عرض مسرحية البحث عن رجل يحمل عينين فقط.

(1) كلمة بابة تعني تمثيلية ظلية، وهي بمثابة الفصل أو الباب من الكتاب، إلا أن صاحب كتاب «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل» يعتبرها نوعا أي جنساً أدبيا، ومنه قولهم اللعب خيال الظل ص 57 من كتاب خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، للدكتور إبراهيم حمادة المؤسسة المصرية العامة أكتوبر 1963.

في الأصل بابة مستقلة، وتعتبر من أهم النصوص المكتوبة في مسرح خيال الظل، لأنها تهتم بالمقاومة ضد العجم، كما يوصي بذلك عنوانها الأصلي : بابة حرب العجم أو بابة لعب النار[2]، ومن هذا الايحاء نستنتج مرجعية البابتين المعتمدتين في تكوين نص مسرحية «البحث عن رجل يحمل عينين فقط»، كما أن شخصياتها تؤكد هذا حيث نجدها كما يلي :

ــ ابن دانيال
ــ طيف الخيال
ــ ميمون القراد
ــ طغرلبك
ــ هولاكو
ــ كبير التجار
ــ الضابط الغربي
ــ شيخ الدراويش
ــ الجارية
ــ الكهان (محددون في ثلاثة)
ــ الجنديان
ــ الحارس

---

(2) بابة حرب العجم، أو لعب النار، تنسب إلى ثلاثة محايلين متأخرين هم الشيخ سعود، والشيخ علي النحلة، وداود المناوي، ورغم هذا، فإن هذه البابة أصبحت ملكا للفرق يتوارثونها مما جعلها تتعرض للإضافة والحذف، كما أن التباس مؤلفها جعلها ملكا للناس الذين يقدمونها أو يشاهدونها، وهي من أجمل النصوص المتبقية لنا، انظر مجلة الكاتب العدد 202 السنة 18 يناير 1978، الدكتور محمد زكريا عناني، حول خيال الظل في مصر...) ص 20.

ـــ القاضي
ـــ كركوزة الشيخ
ـــ كركوزة الغريب
ـــ كركوزة العجيب
ـــ شخصيات أخرى.

حيث يكون ابن دانيال[3] الشخصية المسرحية بهذا النص هو مبدع البابتين الملمح إليهما كمكونين للنص ذاته، إذ يلجأ المؤلف الكاتب إلى لعبة التمثيل في التمثيل من أجل تحريك الأحداث المسرحية وإعادة إنتاجها لجعلها في مواقف درامية جديدة، مما يجعلنا أمام مفهوم الأدرمة **la dramatisation**، وهي صيغة عملية في العمل الدراماتوجي، كما أن هاته اللعبة، هي مايمكن أن نصطلح عليه باللغة الواصفة أو الميتا مسرح **Métathéâtre**، من أجل تقديم الفرجة المسرحية لأن الغاية منها ليس هو بالضرورة الحدث، بقدر ماهو خلق مسافة بيننا وبين الحدث ذاته حتى نتعرف عليه أكثر وكيف حدث، ومن ثمة يتأتى لنا التفكير فيه.

شخصية طيف الخيال، فزيادة عن كونها عنوانا للبابة الأولى التي كتبها محمد شمس الدين بن دانيال، فإنه هو راوية أحداث المسرحية، لهذا يأتي في هذا النص كما في نص بابة ابن دانيال بلا ملامح.

ـــ ميمون القراد شخصيته واردة بالبابة الثانية لابن دانيال، وهي بابة عجيب وغريب.

(3) شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي، ص 87 إبراهيم حمادة مرجع سابق.

ــ الجارية هي العروسة في البابة الأولى لابن دانيال. وهي الصانعة في البابة الثانية.

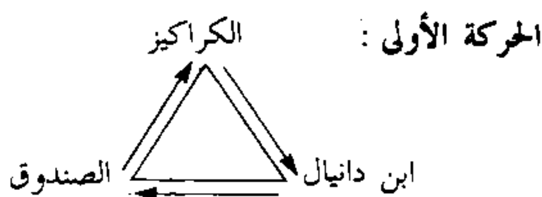
ــ القاضي هو بقطينيوس في البابة الأولى، ومقدم الأسى وهلال المنجم في البابة الثانية وزيهون في البابة الثالثة.

ــ ابن دانيال هو الشخصية المحورية في نص مسرحية البحث عن رجل يحمل عينين فقط، بل هو الرجل الذي رأى في مسرحية المسكيني الصغير والذي يلبسه فعلا بُعْدَ ودلالة المؤلف / المخايل، إذ يدخل في حوار مع شخوصه والتي هي من خلقه هو، مما يجعل لعبة التمثيل تتضح أكثر كمتخيل، حيث يتحول هذا اللعب إلى محاكمة، محاكمة الشخصيات لموجدها / متخيلها، أصلا وهذه الفكرة تتكرر في كل النصوص المسرحية التي أبدعها المسكيني الصغير، خاصة مسرحية مذكرات رجل يعرفهم جيداً، شهرزاد الزعيم / الجندي والمثال، ولعل الداعي لهذا الإستلهام يعود للمعطى النظري الذي تقدمه أوراق المسرح الثالث التي ينتمي إليها المسكيني الصغير والتي تجعل قاعدة هذه التجربة المسرحية هي التاريخ والتراث من منطلق الراهن الذي هو العين الرؤية، وضمن هذه التقنية تحضرنا شخصية ابن دانيال بالذات، باعتباره كان مهتما بمهنة طب العيون الكِحالة، وما اهتمامه بخيال الظل إلا لكونه فنا كان شائعا، ولعل ازدواج الصفة طبيب/ فنان تعطينا معنى لما قصدناه بالذي هو رأى، حيث تنبثق هذه الرؤيا الآن وهنا مع المسكيني الصغير الذي استطاع أن يجعلها رؤيا لعصره هو، ومن ثمة فعل البحث عنه الذي رأى حيث لن يكون إلا نحن التي تطالب بالبابة الثالثة بابة حرب العجم.

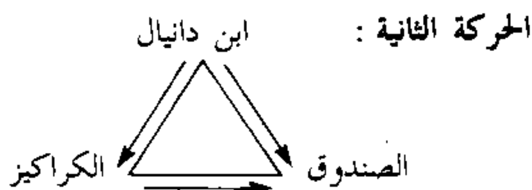
من هذه المعطيات يمكننا تقديم جميع ما تقدم، حيث نجد هذا التجميع يتركز في التمرد على واقع الخنوع، والاستسلام وزمن الردة والتراجع، مادام ماضينا هو ماض مجيد ولم ينتكس إلا بمعوقات تقتضي البحث عن من يحمل عينين، وعينين فقط ؟

ويمكننا توضيح تجميعنا هذا بالخطاطات التالية والتي نتتبع بها حركات النص المسرحي الذي نحن بصدده، حيث نجده ممثلا كما يلي :

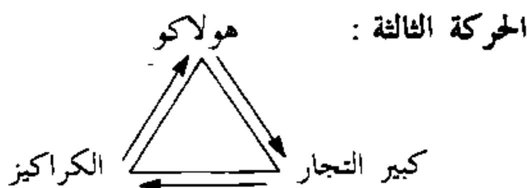
الحركة الأولى :



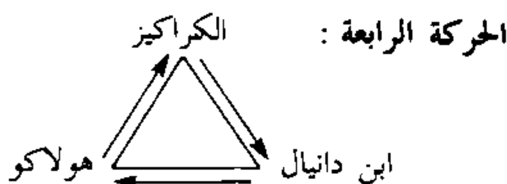
الحركة الثانية :



الحركة الثالثة :



الحركة الرابعة :



وتبسيط هذه الحركات الأربع يمكنه اختصاره في الترسيمة التالية :

موجه ← موضوع ← موجه إليه

الكراكيز ← الصندوق ← ابن دانيال (الحركة الأولى)

مساعد ← ذات ← معارض

الكراكيز ← الواقع ← هولاكو (الحركة الرابعة)

اكويندي سالم

البحث عن رجل يحمل عينين فقط

شخوص المسرحية :

- ابن دانيال
- هولاكو + طغرلبك
- القاضي
- الضابط الغربي
- طيف الخيال
- كبير التجار
- الجارية + كركوزة
- كركوز الشاب
- كركوز الغريب
- ميمون القراد
- شيخ الدراويش
- الحارس
- كركوز الشيخ

البحث

عن

رجل

يحمل

عينين

فقط

بعض الأدوار الأخرى :

- المنادى
- رئيس م 1
- جندي 1
- درويش 2
- كاهن 2
- الوزير الحاجب
- رئيس م 2
- جندي 2
- درويش 3
- كاهن 3
- شيخ البلد
- الصحفي
- درويش 1
- كاهن 1

البابة الأولى الوحدة الأولى

المنظر ... صندوق الدنيا.

طيف الخيال : **(كركوز صندوق الدنيا .. ينسل بتؤده كالشبح من عمق الصندوق يتأمل ابن دانيال الجالس بقرب الصندوق / العربة)**

(الوقت فجرا .. وبصوت هامس غير مسموع) كعادتك.. الذكرى عذاب أليم يامعلمي، بطنها الموحش حابل بالحسرة والدموع واللوعة والعذاب، إحذر لسعة الماضي.

ابن دانيال : (بغير مبالاة يحدث نفسه) .. هذه الأرض مرجل مشتعل .. (صمت) .. بغداد السلام بغداد الكون .. بغداد المعشوقة يغتالها الأهل قبل ميلاد الفجر بسكين صدئه .. (صمت) .. بغداد الخليفة والسلطان .. قربان لآلهه المجوس ينخرها الشقاق في كل مساء (واقفا) .. هؤلاء الغزاة ينصبون أنفسهم أمراء بتيجان من ورق .. يشحذون السيوف في الرقاب (صمت) .. لعنةَ من نحمل، وغضب من يجرفنا نحو الهاوية كل يوم.. (صمت) .. إنها طينة هذه الأمة .. هذه الأمة التي تعجنها أيدي المتنافسين وتجار أسواق النخاسة .. والقضاة والولاة المرتشون ..

(صمت) .. لم تعد كل الطرق تؤدي إليك يابغداد.

ط الخيال : (يقترب منه هامسا) .. أنت كباقي الناس يا معلمنا الأكبر.

ابن دانيال : (يفاجئه طيف الخيال) .. آه .. أنت تحضر في غيابهم .. تتعقب أثرى .. لماذا أتيت، تخنق في خاطري الذكرى .. (صمت) .. ابتعد يا طيف الخيال .. أنا لست المخايل العجيب.

ط الخيال : بائع خضر وخردوات بدون رخصة !؟.

ابن دانيال : لا مكان لي في عيونهم وعقولهم .. فضلت مداعبة بطونهم .. لعلي أفلح هذه المرة .. (صمت) أسواق القيروان والقاهرة ترميني إلى أسواق دمشق، ودمشق تركلني إلى تلمسان .. وصنعاء تمنعني من الدخول .. حصار غريب يبتلع كل الأبواب والنوافذ .. (صمت) .. وأنا أعشق الناس أحرارا .. إبتعد ياطيف الخيال ... وإلاّ ساقوك معي بتهمة التشرد والتجديف .. (صمت) .. التهم مهيأة وناضجة تنتظر أمثالك .. أسكن صمتك .. ودعني في وحدتي .. أحفر قبري المنسي في هذا الليل.

ط الخيال : تموت يامعلمي الأكبر شامخا كالنخلة .. انه استشهاد الباسلين .. في هذا الزمن الغادر الموبوء .. (صمت) .. أنت الذي أعطيت للكلام لغة الفجر وفعل العاصفة، ودورة الأرض والأقمار

حول الشمس .. (صمت) .. لكنك اليوم تتخلى عن كواكبك الصغيرة، ونجومك الصبية، تتخلى عن الحقل والمنجل والسواعد المعروقة .. (صمت) .. من يزرعنا نورا في عيونهم حتى نذكي السواعد ؟. ودفئا في عواطفهم حتى يتحرر صوت أعماقهم من قيود الصمت ؟ تتركنا في رحم هذا الصندوق فريسة الرطوبة والأرضة... يأكل الصدأ منا الرموش والأصابع والسواعد .. دع الكراكيز تشخص مهزلة الدهر .. دعها ترقص على عزف العاصفة.

ابن دانيال : إبتعدوا .. انها النار ياكراكيزي الطيبة .. إبحثوا عن مخايل رومي من الشرق أو من الغرب .. هذه الأرض لاتقبل لغتي.

ط الخيال : وتنسى أنك الحكيم تكحل عيون الناس .. تبعد عنهم ظلام الغربة والصمت والعدوى !!.

ابن دانيال : سئمت مهنة الحكيم العارف .. وفعل الكحال .. كل العيون مرمدة .. لاترى خارج أشفارها غير السراب .. عيون تبهرها المساحيق .. وتنسى أنها تحمل وجها ممسوخا.

ط الخيال : أنت كباقي الناس في بغداد والموصل .. في دمشق والقاهرة .. وأنت كأي رجل في مراكش وحضر موت. ،

ابن دانيال : لا .. لا ليتني أشبههم .. (صمت) .. يحسون الجوع والظلم فيكتفون بلعن الفاقة والشيطان ..

لكنهم يلعقون بشراهة كل أنواع الاهانات، يتمسحون بالصبر كالقطط الجرباء.. خوفا من قولة الحق

ط الخيال : الحق سيف يا معلمنا الأكبر.

ابن دانيال : من يرفع السيف المنتظر .. ويحصد هذا الطحلب الملفوف فوق الرؤوس.. شارات وعناوين باهتة.

ط الخيال : كحل عيونهم ورموشهم يامعلنا، فعدوى العمى تفاقمت.

ابن دانيال : عيونهم لاترى خارج أشفارهم.

ط الخيال : ربما كانت تفضل التغيير بالقلب.

ابن دانيال : قلب الحقيقة.

ط الخيال : أحمد الله أنك قرأت خاطري.

ابن دانيال : لا .. لا .. سأبقى بائع خضر وخردة بالية .. بدون رخصة ومهدداً (بالفوريان) بالسجن والشك فيما أبيعه للناس.

ط الخيال : بدأت تتكلم لغة القوم يامعلمنا .. (صمت) .. إنسلخ وتناسخ في أجسام وعقول كل الناس .. أنت كل الناس .. الأشكال والألوان والأحزاب كثيرة تتوالد كالفئران .. وتتكاثر وتنتشر كالطاعون في العالم .. (صمت) .. اختر لونك يامعلمي.

ابن دانيال : أخشى أنْ تنتقل العدوى لمن أحبهم.

ط الخيال : اختر لونا .. الطيور الشاذية ألوان .. السمك في

البحر ألوان .. الريح ألوان .. والخبز ألوان يامعلمي.

ابن دانيال : لكن الحق واحد.. (صمت) .. الحق كَمَاء الوضوء لاطعم ولالون له .. بأي لون أتوضأ من المرارة والهموم .. وكل الألوان المطروحة في السوق والاشهار تنقض الصلاة.

ط الخيال : الكراكيز في صندوق الدنيا تهترىء وتموت ببطء .. (صمت) .. حياة الكراكيز في رقبتك .. (صمت) .. أنت المسؤول .. صدقني يامعلمي الأكبر .. أنا لاأريد أن أتخلى عن دوري المتعدد .. إعجن طينتي .. وسوّني على هيأة الطير والحيوان والإنسان والنبات. سوّني عاصفة ورعدا ومطرا ينسى الناس السنوات العجاف .. سوني طفلا من يافا في عينيه ينام فجر سجين .. يرضع من ثدي مثقوبة برصاص أخواله .. سوني شيخا فلت بأعجوبة من مذبحة دير ياسين أمس .. وصبرا وشاتيلا اليوم .. ولايزال يحمل في يديه مفتاح بيته المهدوم في القدس، يلوح بعدد القتلى من أسرته .. وجيله يدين الان بلسان مقطوع تجار مكة .. ومجمع عكاظ السنوي في دمشق والقاهرة .. يدين كل بيوت الذعارة التي تستقبل في السر قاتل أسرته . (صمت) .. أنا الكركوز المتعدد في همومي .. سوني يامعلمي مهاجرا مطرودا من أرضه الطيبة، يكنس الآن بيوت وقصور الأعداء .. يلحم قناطرهم المشقوقة ..

بلحم عضلاته، ويغسل عفنهم بالدم والعرق .. من أجل كسرة خبز شريفة .. سوني يامعلمي الأعظم زوجا، مخلصا يودع زوجته ليلتحق بالجبهة، ويجهل أن جثته، قد يبعث أوصافها للمغتالين في الطريق.

ابن دانيال : .. يكفي .. يكفي .. يكفي .. أنت من خشب .. ولن ينفعك الاصرار في هذه المدن الموبوءة... من السهل أن تحترق ويذرون رمادك.

ط الخيال : .. أنا كركوز .. أنا إذن كل الأشياء .. أنا الكلمة والفعل .. والصوت والحركة .. فلتحرك خيطي وراء الستارة .. دعني أفضحهم .. أطلق لساني.

ابن دانيال : .. ويحك .. كيف انطلقت وحضرت .. (صمت) .. صدقني ياكركوزي، إنك من خشب .. وستظل في رأيهم من خشب .. خشب تأكله النار والسوسة، قد تصبح في يوم من الأيام، أن تكون قبقابا في حمام سيدهم.

ط الخيال : .. لاتنسى يامعلمي فأنا قد أصبح لهم مشنقة .. يعقدون بعنقي حبال الموت.

ابن دانيال : ليتني كنت المشنوق الأول .. (صمت) .. آه من يزرعني نبتة برية في أرض معزولة، وبذرة أرتاح في حلقوم طائر .. قطرة ندى تسعف زهرة ظامئه .. (صمت) .. من يزرعني ياطيف الخيال في عقول الناس فكرة مدهشة !؟! .. (صمت) ..

بعد الخليفة الرشيد يأتي المأمون، وبعد أحفادهم يأتي الجند المشاغبون من الديلم الغرباء .. (صمت) .. بغداد ضرع من حليب الله .. لن يحتمل أشداق النخاسين والمتآمرين في الليل .. (صمت) .. لماذا سكت الفقهاء والقضاة عن إذانة المجرمين الدخلاء .. تكلم ياطيف الخيال .. (صمت) .. القدس ملجأ الروح كقرطبة، وبيروت الحسناء كغرناطة، أين الفتوى الرادعة باسم الحق !؟ .. (صمت) .. بغداد تسقط فتبكيها الحواضر ويسرق خراجها ليصرف في مواخير روما اللعينة .. فوق موائد القمار.

البابة الأولى الوحدة الثانية

(يسمع ضربُ طبل وبوق .. شبح القائد السلجوقي طغرلبك ابن دانيال ينتحي جانبا .. وطيف الخيال يراقب من بعيد).

طغرلبك : .. (ضاحكا. يخاطب ابن دانيال) .. كعادتك تفكر في كتابة النص المسرحي القادم .. أيها الخايل الوحيد ... أنا فوق الخيال .. وطيفي لايشبه طيوف أبطالك .. أنا طغرلبك .. حضرت الآن وفي الحضور عبرة .. والعبرة جسر الماضي نحو الحاضر .. جسر الطيف يامعلم .. (ضاحكا بهستريا) .. أتيت بغداد الخلافة غازيا بعدما أغراني صراعكم الطويل ولياليكم الطويلة. استهوتني قصائد مداحيكم، ونزاع عشائركم .. فأحببت أن أكون الفيصل .. أحمل خراج أمصار الخلافة وأطيل خطبة الجمعة في العيد الأكبر .. ملك البر والبحر .. طغرلبك السلجوقي .. (ضاحكا) .. أريد أفواها مزمومة لايفتحها إلا سيفي هذا.

البابة الأولى الوحدة الثالثة

(أصوات وضرب طبول .. أصوات تدعو إلى طاعة هولاكو).

هولاكو : .. ماذا أسمع .. من ينازعني بلاد العرب .. (يظهر شبحه بعين واحدة.. يختفي طغرلبك هاربا) .. من ينازعني بغداد الخلافة أيها المخايل العجيب .. طيفي ينسخ كل الطيوف .. حضرتُ لأن في الحضور عبرة .. العبرة جسر الحاضر .. جسر الطيف يامعلم .. (ضاحكا) .. أنا هولاكو .. الملقب بموشى ديان .. أتناسخ في الأقوى والأدهى .. وفي بعضكم أحكم سيفي .. (صمت) .. رقعة الشطرنج ليست في صالحك ياسلجوقي .. أنت وغيرك فوق الرقعة كجندي مقتول .. وبرج مهدوم .. وقائد خاسر مهزوم، أنا الطيف الرابع إشيك ..لالا أريد حجرا أو زقاقا في مدن الخلافة إذا صهل .. حصاني، إشيك .. أريد هذه الأرض مسلوخة الجدران والقباب .. منتوفة الريش .. إشيك .. أعشق أنهارهم وردة مصبوغة بالدم .. ياأيها الجند التتار، دمروا مكاتبهم أنسفوا الأبراج والحصون .. رقعة الشطرنج تنعى الخلافة والخليفة .. اشيك .. اشيك .. اشيك.

(نسمع أصوات التدمير الاستغاثة .. يظهر رأس هولاكو فقط وهو يتابع المعركة من خلال الناظور).

البابة الأولى الوحدة الرابعة

عودة ابن دانيال وطيف الخيال

ابن دانيال : ماذا أرى ياطيف الخيال .. أسعفني بالعبارة .. الفناء بعينه.

ط الخيال : كراكيز غربية !! .. لم تكن من صنعك تشخص الواقع.

ابن دانيال : الواقع أكبر من الخيال .. هذا وجه الحاضر .. أطياف رومية بدأت تغزو مدن الخلافة.

ط الخيال : لماذا أقاموا يامعلمنا حدودا رادعة .. وطردوك من المسرح .. حرموك من جمهورك !؟ .. (صمت) .. سأشارك في التمثيل .. هذا مشهد مفتوح .. أنا صاحب هذا الغازي.

ابن دانيال : الواقع أكبر من الخيال.

اللوحة الأولى الوحدة الخامسة

ط الخيال : (**يتقدم ليشخص وزير هولاكو وحاجبه .. ضربات قرص النحاس .. تأذن بدخول كبير التجار وضابط غربي**) .. نحن في خدمتك ياامولاي.

هـولاكـو : من يكون هذا القادم المتعثر في هندامه ؟.

ط الخيال : انه كبير التجار .. جاء ليقدم لكم مفتاح المدينة الأولى.

هـولاكـو : مااسم المدينة المفتوحة.

ط الخيال : فلسطين.

هـولاكـو : (يتسلم مفتاح المدينة) .. حسنا .. أأدخلها بدون مقاومة !! (ضاحكا) .. لكنني أرى شخصا غريبا ياحاجبي .. (الحاجب يخبره همسا) سأبقيك حيا يارجل .. (لكبير التجار) .. وسأجعلك مترجمي الخاص .. تعجبني وساطتكم في المعاملات .. (يخاطب الضابط) .. أما أنت.

الضـابـط : نحن ياامولاي الممول الخاص .. ورئيس البعثة .. جئنا نحمل لكم مشاريعنا الجديدة .. نريد حماية البضاعة والسفن المبحرة .. وأصدقاء البضاعة (**كبير التجار يحرك رأسه موافقا**).

هـولاكـو : دونكم أسواق المدينة (لكبير التجار) .. ماذا تطلب منا ؟.

ك.التجار : الوساطة يامولاي في البيع والشراء .. وحمايتنا من نعرة الصعاليك.

هولاكـو : كلام مسؤول !!.. (ضاحكا) .. تبدو ساذجا ياكبير التجار .. من قال لك إن هولاكو الملقب بموشي ديان «نحن» يدخل من الأبواب الرسمية !؟! .. (يسلم المفتاح للضابط) .. هذا ينفعكم أنتم إصنعوا منه نسخا ووزعوها على المغامرين في العالم .. ثم ضعوها في متاحفكم .. (ضاحكا).

الضـابـط : أشكركم يامولاي هاقد تحقق الوعد .. (يهمون بالانسحاب جميعا).

ط الخيال : انتظر ياهولاكو .. فأنتم تحكمون باسم الآخرين في هذا الدور.

هولاكـو : قل لصاحبك المخايل .. رقعة الشطرنج تتسع وأنا الرابح إذهب .. (ضاحكا).

(يختفون جميعا .. ويعود طيف الخيال).

البابة الأولى الوحدة السادسة

ط الخيال : رأيت وسمعت يامعلمنا إنه كركوز لعين.

ابن دانيال : قلت لك دعني أدفن نفسي في صمتي .. (صمت) .. خمسة قرون كاملة والأرض مرجل مشتعل .. الثار رعب في الدم .. والخيانة تأكل ما تبقى من أهل المدينة.

ط الخيال : نعم .. تسع سنوات قضيتها يامعلمي في مدينة الموصل الزاهرة. كان صهد الجرائم يشوي خاطرك .. النكبة امتدت كالنار تحصد مدن الخلافة (صمت) .. لم تعد تقوى على التفكير .. في كل يوم كنت تترقب المنقد .. من يحمل السيف .. (صمت) .. قل لنا يامعلم .. هل أنت نادم أم كافر بنعمة هذه الأرض ؟

ابن دانيال : ليتني أستطيع البوح.

ط الخيال : أرجوك ياسيدي لاتتركني لعبة فارغة .. أريد أن أشخص شيئا مثمرا كالسنبلة، وجارفا كالسيل .. ومزمجرا كالبركان.. حتى يتبدل وجه الأرض.

ابن دانيال : هذه مواضيع مرفوضة .. تمنعها الرقابة في المسرح .. وحتى في المحاضرات والندوات، وصاحبها ملعون زنديق.

ط الخيال : أرفض دور المهرج.

ابن دانيال : ميت وتطمع في الانتقام.

ط الخيال : الخيوط بين يديك .. وصوتي في حنجرتك رابض .. وعيناي جزء من بصيرتك .. (صمت) .. متى تكتب دوري القادم !؟ .. (صمت) .. ها أنت الآن في مصر .. هاجرت .. تريد أن تنسى النكسة .. يقال يامعلمي ان حاكمها أمر بإقامة حدود جائرة .. (يقترب منه) .. الكلام ممنوع .. والخمر كذلك ممنوعة !!.

ابن دانيال : حاولت أن أنسى فتذكرت المرارة، مصر الحلم ليست هي مصر الكلمة، والخبز البرىء، كانت في خاطري نخلة العمر، وزيتونة قنديلي، خرساء تموت.

ط الخيال : ظللت بها تختلس اللذات من أجل أن تتغلب عن الصمت.

ابن دانيال : إنك تفضحني أمام الزملاء .. كنت أحتل عصري ويحتلني صادقا.

(يدخل ميمون القراد .. بعد أن انسل من الصندوق شبه سكران .. يغني أغنية شعبية مشهورة.).

م. القراد : (بعد أن يلمح ابن دانيال) .. معلمي شمس الدين محمد ابن دانيال ابن يوسف الخزاعي الموصلي يسهر وحده .. ينادم من .. (يمسح عينيه) .. ماذا أرى.

ابن دانيال : سكران وحدود السكر مؤلمه.

م. القراد : أخطأت في حقي يامعلمي .. أنا «مقرقب» .. أنا سكران بآلة العصر .. أقصد بلغتهم، ابتلعت حبوبا ممنوعة .. يبيعها عطار خاص !! .. (صمت) .. أنا في هذه الحالة احتال على القانون .. (صمت) .. أنا الآن أقع بين منزلة العاصي والبرىء .. (صمت) .. من يتهمني بالسكر أخطأ في حقي مرتين !! .. أنا أداوي رأسي فقط .. وهذا جوفي خال من دخان «الروج» اللعين .. (يفتح فمه) .. آه من الميكة اللعينة.

ط الخيال : سكران حسب الموضه.

م القراد : أسكت أنت .. (صمت) .. إذا شنقت يامعلمي ووضعوا الجرة الوهمية في عنقي فالبقية في حياتك .. (باكيا) .. ميمون القراد .. إذا مات شنقا .. وترك قرده المسكين .. (صمت) .. أوصيك يامعلمي فقردي يفضل «الشكولاته» المستوردة.

ط الخيال : هذا ليس طعام الفقراء .. والممثلين.

م القراد : اسكت أنت .. مادمت قدمت فلماذا أبخل عن قردي الوارث بوصيه ممتازة !؟ .. (صمت) .. أريد يامعلمي ان أفعل خيرا في الدنيا .. يذكرني به قردي.

ابن دانيال : أنت الآخر تحمل هموماً

م القراد : عاطل عن العمل

ط الخيال : لامكان للممثلين !!.

م القراد : منذ مدّة وأنا أنتظر .. (صمت) .. ماذا يفعل عاطل مثلي .. مهنته الناس .. كان يعمل في مسرحك قرادا .. (صمت) .. كأي عاطل منبوذ في هذا العالم .. بدأت تخامرني شكوك وأفكار سوداء !؟! (صمت) أريد أن ألعب في النهاية دور صعلوك خارج عن القبيلة الجاحدة .. (صمت) .. أما أدوار الحب فأنا لاأحمل قلبا مصريا وعاطفة هندية .. يامعلمي.

ط الخيال : ماذا تريد أن تقول .. إذا كنت غير مرغوب فيك.

م القراد : .. أصرخ .. إرفعوا الحدود عن العاطلين .. (صارخا) ..

ط الخيال : .. الحديث في السياسة ممنوع.

م القراد : .. أنا أتكلم على الخبز .. وفي الخبز ياغبي .. لاحرج على الجائعين .. من مات جائعا أخرس يتحمل جريمة جوعه كل الصامتين !! (صمت) .. متى تفكر يامعلمي الكبير في الكتابة .. كتابة مسرحية مشتعلة كالفرن تنضج خبز الفقراء.

ابن دانيال : .. هذا أقوى مني.

م القراد : نحن الكراكيز .. نود أن نقول لكل الناس الطيبين سر الأشياء المعروضة خلف الواجهات .. نفسر لهم خطبة الجمعة ... وأسباب اللقاءات .. وانعقاد المؤتمرات.

ابن دانيال : الواقع أكبر من الخيال.

ط الخيال : دعنا إذن نكشف الوجه والقناع .. ونفرق بين الصدق والخديعة.

ابن دانيال : لا أرى غير الأقنعة ياكراكيزي.. تحرروا مني.

م. القراد : في حريتنا الموت.

ط الخيال : في حريتنا الفناء .. (صمت) .. لنلعب بابة جديدة في القدس.

م القراد : في مكة أو في رأس الخيمة.

ابن دانيال : كل المدن تعانق جراحها .. لكن جرح القدس غائر.

ط الخيال : بدأت أرتوي من همك الأكبر.

ابن دانيال : **(يغير صوته في إلقاء شعره).**

ماعاينت عيناي في عطلتي ... ادبر من حظي ومن بختي
قد بعت عبدي وحماري ... أصبحت لافوقي ولا تحتي

ط الخيال : مازلت أذكر مشادتك مع زوجتك .. (صمت) .. لم يقدِّر القاضي انشغالك بالمسرح .. والتزامك بهموم الناس.

ابن دانيال : كنت أفكر حينها في كتابة بابة جديدة.

م القراد : دعنا من هذا ياطيف الخيال دعنا نشخص قصة معلمنا .. **(ميمون القراد. يشخص دور القاضي وطيف الخيال زوجة ابن دانيال)**.. أنا القاضي عفلق لا أحس ولا أشفق .. تقدمي ياامرأة .. أعلني مظلمتك أمام الملإ .. نحن العدل حتى نثأر لك من الظالم .. ونقتص منه.

ط الخيال : زوجي ياسيدي القاضي يخونني مع المسرح .. في الليل والنهار.

م القـرد : اخجلي ياامرأة .. هذبي لغتك .. واضبطي مخارج الحروف .. أنت أمام قاضي المدينة، المرشح في الدورة القادمة، ليصبح قاضي القضاة .. ماذا تقولين !؟ المسرح ليس إسم أنثى !! .. ولا ينطبق معناه على شكل امرأة .. في قدك وجمالك .. نعم .. اضبطي مخارج الحروف .. فالمسرح إسم مذكر ممنوع من الصرف ... فهو في هذه الحالة لن يصبح ضرتك!! نعم .. تريدين أن تقولي أن زوجك المسرف الخائن يستأنس بغلام اسمه الممسرح ينادمه ليلا ونهارا.

ط الخيال : أقصد ياسيدي القاضي .. زوجي يخونني مع المسرحيات في فندق وسط المدينة اسمه المسرح.

م القراد : الآن فهمت .. نعم .. وصلتني أخبار هذا الفندق الغريب والزندقة الملعونة لا أبقاه الله .. هناك يفتضون دون حشمة وخجل وقار بكارة الحقيقة .. (صمت) إني أستغرب كيف سمحت لنفسك بالزواج من رجل مزواج مسحوق .. والشريعة لاتسمح إلا بأربعه وفي حالة العوز وعدم العدل بينهم فواحدة.

ط الخيال : كنت ضحيته الوحيدة .. كأنك ياسيدي القاضي كنت معنا في البيت.

م القراد : انا في كل البيوت .. إلا بيوت هؤلاء الزنادقه ..

(تبكي) .. ارحمي عينيك الكحيلتين .. (صمت) ماسم زوجك المدعى عليه !؟.

ط الخيال : شمس الدين بن عبد الله بن دانيال الموصلي الخزاعي.

م القراد : اعرفه جيدا .. مثل هؤلاء ياامرأة لايمكن أن تغفل عنهم عين السلطة .. ملفاتهم سوداء كالقطران .. يفضحون الناس .. وينتهكون حرمة الصالحين منهم .. (صمت) نعم فإلى جانب تهمة الإهمال سأضيف إلى ملفه الأسود تهمة الزندقة والتشهير بالورعين .. أنا الآخر شهر بي .. اتهمني بالرشوة وأنا الرجل المخلص الورع والمرشح لمنصب قاضي القضاة .. والذي لايقبل الهدية .. من أقرب الأصدقاء إلا على مضض والله يشهد !؟! ومع ذلك لاغفر الله له شرح جثتي تشريحا مؤلما .. ولم يكفه هذا، جعلني ضعيفا.. جبانا .. كقط أمام زوجتي .. وأنا .. أنا القاضي الذي لايثق في كلام النساء .. أبدا .. ومع ذلك سأحكم لصالحك وأقضي حاجتك.

ط الخيال : أطال الله عمر سيدي القاضي.

م القراد : اذهبي الآن ... سأوصي بسحب الرخصة منه وهدم مسرحه وإلقاء القبض على جميع المسرحيات المستهترة وزج الجميع في السجن !! .. (ضاحكا) .. عبرة لمن يعتبر .. (ينتهي التشخيص).

ابن دانيال : عانيت من جهل الآخرين.

ط الخيال : وصدر الحكم بحرمانك من صوتك ولغتك.

م القراد : لكنك لم تسكت .. هجوته وزدت التشهير به قائلا ... قل للقاضي الفسوق والادبار، عضد البله عمدة الفجار.

ابن دانيال : لا .. لا.

م القراد : ثم أضفت .. والذي قد غدا سفينةَ جهل، وله من قرونه كالصواري.

ابن دانيال : لا تكمل القصيدة، وإلا اتهموك بالقدف في ذات العدالة.

م القراد : لو تتركني يامعلمي لصرخت.

ابن دانيال : (يلقي شعره)..

مازلت في طوري أخاطب ذاتي ... من غير طور ولاميقات
حتى نفقهت الخطاب كأنه... قد كان يسمع من جميع جهاتي

ط الخيال : وازداد همك .. وتداخلت الألوان في عينيك يامعلمنا.

ابن دانيال : (يلقى شعرة بتؤده)..

بعدما كنت من ذكائي أدرى ...أن بابي من صنعة النجار
أحزر البيض قبل أن يكسروه ... ان فيه البياض قبل الصفار

ط الخيال : وهل يوجد تحت القشرة غير البياض والصفار ياحكيمنا

م القراد : يوجد قردي ياغبي !!

ابن دانيال : تحرروا من الدوامة ياكراكيزي الطيبة، ابتعدوا عن لهيب النار.

ط الخيال : لنبحث عن جمهور يفهمنا .. (صمت) .. ناد ياميمون القراد قردك .. دعه يستنفر الكراكيز.

م القراد : (صائحا) .. ياكراكيز العالم مزقي الستارة .. واعلني الإشارة .. لاضوء إلا ضوء الشمس.

ابن دانيال : لا .. لا .. تفعلوا.

(تسمع همهمات أشباح الكراكيز وهي تنسل من عمق الصندوق).

الكراكيز : (بصوت منسجم)
نحن الكراكيز الخيالية ... عشنا زمنا ضائعا في الصمت .. عشنا بلا لسان، هذا زمن الفعل ...الصمت إذانة، الصمت جبن ... الصمت مقبرة الواقفين، هذا زمن الفعل .. زمن الرافضين.

ك الشيخ : (يتقدم ليشخص حواره) أنا الشيخ نباته العشاب .. بالأمس القريب كنت أتقمص دور العارف بأصول وعروق الأوراق والأزهار ... أصنع منها دواء الحمق والشجاعة، حبوبا فاعلة سحرية ... تقلب البغضاء محبه ... تنشر بين جميع الأنام المحبة والسلام ... ها أنا أشيخ قبل مفعول الحكمة

ك الشباب : وأنا الفتى الأول في كل النصوص المسرحية الممنوعة .. عاطل أحلم في النهار .. لكنني في هذه المدينة متهم بالتفكير والكتابة على الجدران ... وتكسير الواجهات !؟!.

كركوزة : ولدت بعد موت أبي ... كنت أحلم بدميه ألعب

بها دور الأم والطفلة، لكني كبرت في مقاهي المدينة ... أبيع للغرباء والسياح مكانا في جسمي ... ليلة أو ليلتين، في كل مرة كنت أخسر في تجارتي ... الخبز في هذه الوطن أكبر من الكرامة.

ك الغريب : أنا إسمي الضائع ...لاهوية ولاعنوان انا كل الأدوار ولادور لي، ألبس الطموح والقهر، أنا الكل ... تجدونني في الشوارع ماسح الأحذية .. (يشخص حواره) ... تمسح ... هل تمسح ياسيدي غبار الدنيا ... امسح حذاءك ... امسح ذنوبك ... امسح ضياعك ... فأنا منديلك ... امسح امسح هل تمسح حذاءك ... تجدونني شحاذا ... (يشخص) صدقه ... الله يعطي لماذا لاتعطوني صدقة ... في جيوبكم بعض من دراهم أبي ... أيها السادة أعطوني صدقة فالجوع لايرحم... أعطوني صدقة لكي تبقوا أغنياء ... أنا الفقير وأنتم الغنى (صمت) .. تجدونني في شوارعهم متشردا حافي القدمين أفيق في الصباح ... أهرب من زوايا المدينة الباردة ... أهرب من الشرطة، أغرس من جديد جسمي في أزقة المدينة تائها ... لعلني أنمو غرسا جديدا ... (يشخص التيهان وسط المدينة) ... أو فكرة ملهمة تلهم المبدعين المتخمين .. تلهم المصورين والشعراء وبعض الصحافيين، جرائد الدنيا تحتاجني ... صورة ناطقة للبرهان والحجة ... فأنا الذي أضمن مقالة البيع ... أنا الكل ... بعض من

جدران المدينة وأرقام بيوتها .. أتسكع في عيون الناس، بحثا عن حرف من مداد يصوغني منجلا أحصد به شجرة الحنظل بحثا عن فلاح، يزرعني قمحا وشجرا يخصب تربه الأرض .. أنا الكل .. أنا المطلوب والحجة لكنني لأساوي عندهم غير الشفقة الباهتة.

ابن دانيال : كركوز عجيب !!

ك الغريب : ولدتني الصدفة يامعلمنا.

ط الخيال : اعترف انك جئت لتتسقط أخبارنا.

ك الغريب : انا انتم.

م القراد : (غاضبا) .. أين اختفى قردي ياجماعة .. الوحيد الذي رفض الحضور .. القرد إنسان ممسوخ (تضحك الكراكيز) .. كان ينظف رأسي من فضول القمل والبرغوث وينسيني ألم المسغبة.

الكراكيز : اجمعنا يامعلمنا في بابة جديدة ... اصنع منا شيئا عجيبا.

ك الشاب : لنشخص الحرب والسلام.

ك الشيخ : الحصار والمجاعة.

كركوزة : نمثل مايجرى في المؤتمرات.

ك الغريب : نشخص الغربة.

الكراكيز : نحن الحرف والجملة واللسان .. نحن مناجل تحصد شجره الحنظل .. إعطنا دور الشمعة والقنديل .. دور الفأس والعاصفة .. دور المطر والسيول والأنهار .. دور الفجر والنهار.

ط الخيال : لنبدإ الموضوع.

م القراد : لكن قردي لم يحضر.

(الجميع ينقسمون إلى مجموعتين)

رئيس م 1 : (الكل يتجمهر أمامه) أيتها الجماهير الواعدة .. (يخطب بطريقة مضحكة) بعد أن أحرزنا على ثقتكم .. بعد أن تفوقنا التفوق الملحوظ

الكراكيز : (تردد) .. وبعد أن.

رئيس م 1 : نظرنا في المشكل القائم.

الكراكيز : (تردد) ... وبعد أن.

رئيس م 1 : تابعنا ومانزال نتابع نقاشنا لحل المشكل القائم والسلام .. (تصفيق)..

رئيس م 2 : (يتجمهر الكل أمامه) .. أيتها الجماهير .. ياجماهير هذه الأمة العظيمة، الآن اتضح الخيط الأبيض والأسود.

الكراكيز : الان

رئيس م 2 : نحصل على النيابة عنكم.

الكراكيز : الان

رئيس م 2 : نؤكد لكم ما اتفقنا عليه.

الكراكيز : الان

رئيس م 2 : اتفقنا.

الكراكيز : لم نفهم شيئا !؟!

رئيس م 2 : اتفقنا

الكراكيز : لم نفهم شيئا !؟!.

م القراد : (يستقيظ من نومه)... لم يحضر قردي ليفسر لكم.

ط الخيال : لنبدإ الموضوع.

(الكراكيز تشكل سيارة تهبط منها شخصية اللولب ... يلتقي به صحافي منهم ..)

الصحافي : تشاركون ياسيدي للمرة الألف .. في مؤتمر الاجماع فما رأيكم في مؤتمر الواحد بعد الألف.

ش اللولب : (يتكلم بتأنث) .. انا في الواقع أحب ألف ليلة وليلة .. ومعجب بهذه المقارنة، ومؤتمر الألف والواحد بعد الألف .. هو في الواقع تقليد ناجح نابع من طبيعتنا.

الصحافي : هل تحملون بعض المقترحات البناءة إلى مؤتمر الاجماع !؟.

ش اللولب : نعم .. نعم .. المؤتمرات السابقة علمتنا كيف نحتفظ بالنقاط البناءة، ها أنا بالمناسبة أحمل حلولا جذية لكل القضايا المطروحة .. المطلوب هو ان أجد آذانا تسمعني .. أول مقترح يتعلق بإلغاء البطالة والجوع والمرض .. ثاني مقترح بإلغاء القتال والاقتال البدائي، أو مايسمى «كول فيا نكول فيك» ثالث مقترح .. التقليل من زيادة النسل .. وذلك عن طريق تصدير اليد العاملة للبلدان الصديقة والرفيقة ... أما بالنسبة للمشكل الأساسي فقد قررنا أو قل أنا الذي قررت ... وسأقترح هذا .. أي اقتراح إيجاد

نشيد مشترك يجمع كل الاخوة .. كما اقترحت في أوراقي هذه وضع جائزة لمن يلحن هذا النشيد .. التلحين الذي يليق بأحزاننا.

م القراد : (يصحو من غفوته) .. هذه المرة فهمت.

ش اللولب : أحتج .. هناك إحباط للمقترحات البناءة التي قدمتها بلادي .. وبهذه المناسبة أقاطع مؤتمر الألف والواحد بعد الألف.

الكراكيز : (يستعطفون) .. لا ... لا ... الله يخليك .. وجودك ضروري .. صوتكم ضروري .. إلخ.

الصحافي : ماهي تصوراتك لهذا الخلاف القائم ... هل هناك فكرة في عقد مؤتمر آخر، يتم فيه الاجماع عن الاجماع.

ش اللولب : نحن نفكر بعد مقاطعتنا لمؤتمر الاجماع، في عقد مؤتمر آخر يدعو إلى الاجماع، وهمنا الأكبر أن نجمع أكبر مجموعة في الاجماع لكي يتحقق الاجماع في قضيتنا المصرية.

(ينتهي التشخيص).

ط الخيال : لنبدإ الموضوع.

ابن دانيال : يكفي ... يكفي .. هذه أرض الحنظل .. من اراه يسمعكم في خرائب بيروت في القدس المطعونة في البطن .. في المدن العربية المقبورة.. الكل يمضغ الحنظل واقفا وماشيا .. والخليفة هولاكو يتناسخ فينا كالعدوى ... يحتل منا العقل والطربوش .. سراويل وأحزمة.

الكراكيز : الفعل ليس كالكلام ... علمنا في البابة القادمة .. ان نطلق الرصاص ونسقي زيتوننا بالدم .. الفعل ليس كالكلام.

ابن دانيال : (يسمع أصوات طقطقة أقدام) .. انتبهوا ... جند هولاكو.

الحارس : **(يحمل فانوسا ... يرتدي لباسا غريبا وهو بعين واحدة .. في هذه الحالة تكون أشباح الكراكيز غير منظورة)** .. أشم رائحة حي في الظلام !! (يقترب من ابن دانيال) كتلة من اللحم الأدمي ... ماذا تفعل هنا !؟.

ابن دانيال : عابر سبيل.

الحارس : العبور ممنوع (يشمه) .. لاتكذب حاسه شمي .. أنت واحد منهم.

ابن دانيال : أنا واحد من نفسي، أختصر الطريق إلى السوق.

الحارس : اختصار الطريق ممنوع.

ابن دانيال : (يوجه كلامه إلى الكراكيز) .. لم تصدقوني.

الحارس : تكلم من ... أنت إذن جماعة.

ابن دانيال : أنا وحدي مع هذا الصندوق.

الحارس : بأمر حاكمنا هولاكو ... وباسمه نسحبه منك «للفوريان» (للسجن)

ابن دانيال : إنه صندوق الدنيا .. صندوق الناس .. صندوقهم !! (تسمع همهمات الكراكيز).

الحارس : ماذا أسمع .. أنت تحمل أشياء ممنوعة في هذا الصندوق الغريب !؟.

(تتحرك الكراكيز وبصوت منسجم) .. أنت جماعة في واحد، كنت تريد أن تسطو وتتربص لشخصية مهمة.

الكراكيز : حرك خيوطنا يامعلمنا .. علمنا في البابة القادمة. أن نطلق الرصاص ... ونسقي زيتوننا بالدم.

الحارس : (يهرب خائفاً) .. ماذا أسمع .. أنت جماعة.

الكراكيز : كحل عيونهم يامعلمنا .. أكتب أدوارنا الجديدة. إفتح الستارة ... وأعلن الاشارة.

ابن دانيال : لا.. لا.. لا.. لاأستطيع أن أخاطب من يحمل عينا واحدة !؟!.

الكراكيز : (تحيط به مرددة) .. إعطنا دور الشمعة والقنديل .. دور العاصفة والفأس، دور المطر والسيول الجارفة .. دور الشمس.

البابة الثانية الوحدة الأولى

الكراكيز مشنوقة ومصلوبة أمام باب المدنية

المنـــادى : **(بعد ضربات الطبل .. المنادى بعين واحدة)**

....

ياسكان البابة الثانية. هذا بيان مهم من وزارة خيال الظل.. باسم حاكمنا الموقر المهيب هولاكو .. الملقب بموشي ديان .. (يحك عينه المغطاة) .. اسمعوا من رأى منكم شخصا .. أو شبه له.. أو أشخاصا أو سمع عنهم ... أو.. أو.. أو.. أو.. مائة مرة. يحمل أو يحملون أكثر من عين واحدة !؟! خلافا لحاكمنا موشي ديان. فليسرع بالابلاغ عنه.. إلى أقرب مركز للشرطة أو مكتب للبريد .. أو أية سفارة صديقة أو خطيب الجمعة في جامعكم... فللمخبر الذكي جائزة تقديرية.. **(يختفي وهو يردد الاعلان مع ضربات الطبل).**

ابن دانيال : **(يتكيء على عكاز يتفرج على كراكيزه المشنوقة والمصلوبة)** .. كم كنت أنصحكم بالابتعاد .. حرمت منكم .. حرمت من الماء والكلام .. سامحوني ياكراكيزي الطيبة **(ينظر إلى كركوز**

مصلوب) .. أنتَ كنت تشخص الفلاح المقهور الذي يحلم بفيض من السكر والشاي.. وبطفل يرعى شاته الحلوب، كلما طلت في الأفق سحابة (لكركوز آخر).. وأنت كنت أرى فيك الشاب الرافض .. آه إسمحوا لي جميعا ربما أخطأت في الكتابة أخطأت في حقكم .. صدقوني لاأستطيع أن أصبغ وجهي وأرقص بأذنين مغلقتين.. وأنين هذه الأرض يهز أعماقي .. حاولت.. حاولت.

البابة الثانية الوحدة الثانية

(يتحول المشهد.. حيث هولاكو بعين واحدة وبجانبه حاجبه الوزير)...

هولاكـــو : (صارخا)... ابحثوا عنه بالإبرة.. انه العدوى الوحيدة .. الباقية .. سوف يثير الصامتين.. ينظف آذانهم المغلقة .. آه .. أنتم لاتعرفون غليان الصعاليك .. تكلم.. (للوزير الحاجب) ألم أمرك بتخريب قراهم في الجنوب والشمال والبحث عنه ؟

الوزيـــر : نحن في انتظار المعلومات ياسيدنا الأكبر .. عن تفكيره .. وعن ارتباطاته السرية بهذه الأرض .. فليهنأ بال سيدنا .. سوف نفصله عن هذه الأرض .. ونقطعه من رحمها كما يقطع حبل الصرة بين الأم وطفلها.

هولاكـــو : أريد مفاتيح المدن العربية كلها.

الوزيـــر : هي في الطريق .. **(يضرب قرص النحاس.. يدخل كبير التجار حاملا حزمة من المفاتيح)**.

هولاكـــو : (ضاحكا بهيستيريا).. أريدها.. أريدها.

ك التجار : (ساجدا).. باسم التجار والوسطاء.. باسم الأبناك والأسواق المفتوحة، أقدم لكم ياسيدنا

الأكبر.. مفاتيح كل المدن العربية، المجد لو ايزمن.. المجد لأمكم كولد مايير، طوبي للحبيب بيكن .. طوبي لهرتزل.

هولاكــو : حسنا.. (يقبض حزمة المفاتيح).. أنتم بالفعل شعراء !؟! شعراء شعراء فطاحل.. الشعر خبزكم وعقلكم المهووس (صمت) .. إلي بكهان الكينيست ومنجيميه .. أريد أن أتأكد من صدق هذه المفاتيح المهزومة (ضاحكا).. وأرى ما تخبئه أبواب كوكب السعد المفتوحة، أرى المستقبل مقبلا نحوي.. وأراهم ساجدين كعادتهم.. آه يعجبني شعر المنهزمين وهم يصنعون منه حصونا صامدة.. وأسلحة فتاكة رهيبة (ضاحكا).. أنشدوا قصائدكم واكتبوا ماشئتم .. أنا.. أناهنا **(ضاحكا مرة أخرى يضرب الحاجب الوزير القرص بأمر من هولاكو. يدخل الكهان بلحى طويلة بيضاء ولباس غريب.. من الممكن تصور لباسهم حسب أهمية التشخيص بحيث يرتدون ألبسة جد متقدمة قد تشخص الخيال العلمي)**

الكهان 3 : (ساجدين).. المجد لكم.. نحن الكنيست.. نحن الكنيست.. نحن الكنيست...
حائط المبكى.. عقل العالم.. ومدار الأفلاك
شالوم.. شالوم.. شالوم.. شالوم..

هـولاكـو : حسنا ياكهان الكنيست. لنضحك هذه المرة أمام حائط المبكى.. ونكفكف الدموع، هذه مفاتيح

مدن أخرى.. انظروا.. إني أشك في صدق مقالعها !!.

(يتسلمون المفاتيح واحدا واحدا)

الكاهن 1 : من يملكها يملك أصحابها.

الكاهن 2 : يملك كنوزها.

الكاهن 3 : يملك العالم!؟!

هولاكـو : صارحوني ياكهان الكنيست.. لاأريد أن أبتلع القطران في عسل اللحظة فتنهدُّ الجدران.

الكاهن 1 : تقول الحكمة الغابرة .. الحذر مفتاح لايصدأ.

الكاهن 1 : نار تحت الرماد.

الكاهن 3 : زلزال لايبقى ولايذر.

هـولاكـو : افصحوا ياكهان الكنيست.

الكاهن 1 : حائط المبكى يرحل قبل الفجر .. وبخور الأمس لاينفع اليوم، والدم المغدور لن يغفر للغادر.. وهذه المفاتيح تحمل ياسيدنا شؤم الغراب والخراب !!

هولاكـو : أنا أملك المفاتيح.

الكاهن 2 : لكنك ياسيدي لاتملك قوة ثأر الدم.. وما يحمل الدم من الرعود والعواصف.

الكاهن 3 : سر المعدن ياسيدنا يفوق همهمة التنجيم والحروف المظلمة.

هولاكـو : (غاضبا).. احرقوا البخور من جديد.. خذوا أطفالهم قرابين سخية، أريد أن أرى العالم بعينين كبيرتين..

الكاهن 3 : (الكهان الثلاثة معا وبصوت متناغم).. نحن عقل الكنيست.. نحن الأدهى، كتب التنجيم تقول ياسيدنا الأكبر.. إنك تسود اللحظة .. لكنك لن تفتح بابا في المستقبل .. ولن تمس يداك برعما أخضر .. ولن تحمل أكثر من عين واحدة. ياسيدنا الأكبر.

هولاكــو : غاضبا ..لا..لا.. سأتزوج منهم ظلما .. أتناسل فيهم .. أتناسخ رهبة ورعبا.. وسيولد لي طفل وارث .. يحمل عينين .. أعطيه مفاتيح مدنهم المحروقة وسأورثه موانىء العالم.. وسيفـي المسلول.. وحيلة الهجوم .. انظروا إنها مفاتيح مدنهم .. فأنا الداخل والخارج متى شئت (ضاحكا).

الكهان 3 : (الكهان الثلاثة) .. جسدك عاقر ياسيدنا الأكبر .. وطفلك القادم بلاعيون.. مسار كوكبك مجهول ..ومظلم في الاعوام القادمة.

هولاكــو : آه ماذا أفعل إذن بهذه المفاتيح !؟ احرقوا بخوركم أيها المنجمون.. اكتشفوا راحتي في كوكب جديد.. ثم دلوني على مكان صاحبهم هذا الذي يقود كوكبي إلى الهاوية.

الكهان 3 : (الكهان الثلاثة).. هو في كل مكان ياسيدنا الأكبر.. كالسحاب يمسح وجه السماء وبخورنا لن ينفع في مطر يغسل الدخان.

هولاكــو : ماذا أسمع .. ماذا أسمع !؟ كهان الكنسيت ..

عقل العالم يعجزون اليوم عن التفكير والحيلة (لنفسه) .. كنت أحلم بامرأة تنقذني من الوحدة .. تعطيني طفلا يرث صورتي الأبهى.. ماذا تقولون، لأصدق.. !؟

الكهان 3 : (الكهان الثلاثة).. قداس الدخان انتهى .. وعاصفة اليوم قد كسرت مجامرنا، والعالم ياسيدنا الأكبر، تعلم كله لعبة التنجيم !!.

هولاكـــو : (يبعثر المفاتيح صارخا).. ماذا أسمع .. (لكبير التجار).. تكلم أنت.. هذه مفاتيح النحس ياكبير التجار .. أين مفاتيح السعد (ينسحب الكهان الثلاثة ببطء)

ك التجار : كل التجار يفكرون في حمايتكم من الصعاليك .. نحن جند الاحتياط ياسيدنا الأكبر.

هولاكـــو : اخرجوه (يدفعه الحاجب الوزير إلى الخارج) .. دعوني أتأمل خريطة التخريب أيها الجند.. احرقوا حقول الجنوب والشمال.. عبدوا الأرض بلحمهم وعظامهم **(يضرب الوزير الحاجب قرص النحاس .. أصوات الهدم والاستغاثة والصياح وهولاكو ينسحب).**

البابة الثانية الوحدة الثالثة

(ابن دنيال يلمح جماعة من الدراويش شبه عرايا.. يقودهم شيخهم)

ش الدراويش : (الدراويش يحاولون الولوج من باب وهمي ويبعثون بأصوات منسجمة).. ارحلوا .. كونوا أخف من الريشة في كف الريح !! اشربوا من خمرة الصمت. حتى تنتعش أعماقكم .. انسلخوا من دنياكم .. اتركوها للجاحدين المارقين الكافرين .. هذا يوم وصولكم .. يوم دخولكم !؟!

الـــــدراويش : **(بانسجام وهم يتماسكون بالأيادي يحاولون الدخول من الباب الوهمي)**. نحن ياشيخنا توضأنا من وسخ الدنيا .. لكننا مازلنا نسمع أصوات العالم !! الصياح والنواح يملأنا .. نريد نهاية المسار.

ش الدراويش : تناسخوا في جسد الصمت.. إرمو لباس الدنيا اللعين، تخلصوا من رائحة الطين أنتم أمام الباب المقدس.

الـــــدراويش : أعيانا الوقوف ياشيخنا.. نحن نناى ولا نقترب .. أمامنا جبال ملأى بالأفاعي والعقارب .. أمامنا جثث نتنى وخرابُ

بيوت، أمامنا دمى أطفال مقطعة، وأصابع أطفال مبعثرة تشير إلينا، تنعتنا بالجبن نريد الدخول ياشيخنا.

ش الدراويش : أنتم قريبون .. تخلصوا من رائحة الطين .. ادخلوا .. ادخلوا !!

ابن دانيال : (ابن دانيال يقترب منهم) .. هذه كراكيز غريبة تقوم بأدوار غريبة.

ش الدراويش : أنتم قريبون .. تخلصوا من رائحة الطين .. ادخلوا .. ادخلوا !!

ابن دانيال : (ابن دانيال يقترب منهم) هذه كراكيز غريبة تقوم بأدوار غريبة.

ش الدراويش : (يلمح ابن دانيال) .. اقتربوا ادخلوا لاتنظروا إليه.. (لابن دانيال) اقترب ياولدي.. أنت الآخر مظلوم.. تريد أن تهزم الظلم.. هذا بابك، مزق لباس الدنيا، وانخرط في الحضرة.. قلبك يهزه الرحيل.. اغرس اغرس ذاتك في ذواتهم.. اهزم الظلم فيك.

ابن دانيال . ..لا..لا تريدني أن أظلم نفسي المظلومة حتى أقهر الظالم.. أنا خارج وتدخلني يارجل.. هذا جحيمكم وحدكم.

الدراويش : **(يتحركون كالعميان وكأنهم يسمعون إلى حديث بعيد)**.. نحن ياشيخنا نرى أمامنا خيالا جائعا يهز خلفنا.

ش الدراويش : أدخلوا.. لاتقفوا.. اتركوا دنياكم.. أنتم عبيدُ طينتكم.. تخلصوا من الكلام.. ابتعد يارجل أنت تحرق أزهارنا.. ادخلي ياطيوري.

الــــدراويش : (بإيقاع واحد).. الله حي.. الله حي.. الله حي.. الله حي.

ابن دانيــال : كنت أريد أن أتخلى عن لغة الناس والأرض والأشجار.. كنت أريد أن أنفي الظلم بسلام الصمت.. أقهر رغبتي في الحركة (الصمت).. هاأنا أشرب اليأس وأتدرب على المرارة لكنني في كل مرة أفشل.. لأن حدود الظلم لايمكن أن يرفعها الرفض الصامت.. (صمت).. أنا الذي كنت أكحل عيون الناس بألف قضية حتى يمسحوا أعينهم ويزيلوا عنها أظافر الظلمة.. (صمت) .. تجار المدن منحوا المفاتيح في غياب الشمس إلى هولاكو اللعين، اغلقوا الباب في وجهي، كتبوا على الجدران، جميع الجدران قرار المنع .. (صمت).. بعد أن سملوا عيون الناس الطيبين وقتلوا الحقيقة.

(الدراويش كأنهم يصيحون إلى صوت بعيد)

الدراويش 1 : ماذا أسمع.. كأني أسمع أخي الذي مات شنقا !!.

الدراويش 2 : كأني أسمع زوجتي المغتصبة أمام عيني !!.

الدراويش 3 كأني أسمع طفلي الذي مزقوه اربا اربا.

ش الدراويش : (غاضبا).. لا.. لا.. انكم تسقطون في مستنقع الدنيا من جديد.. ابتعد يارجل.

ابن دانيال : الحقيقة كحل العيون (يرددها بعيدا عنهم)

الدراويش : (معا).. كأننا نسمع شيئا عجبا.. كأن الصوت يتسل منا !! هذا الصوت ياشيخنا مفتاح بابنا المغلق (**يتحركون شبه نائمين باحثين عن ابن دانيال**).

(ينتهي التشخيص.. ويدخل طيف الخيال)

ط الخيال : لنبدإ الموضوع ياحكيمنا.. افتح الستارة. وانسج للجموع عبارة... وامسح عيون الناس الطيبين.. فالحقيقة كحل العيون المرمدة (ينتحى جانبا ليتفرج).

البابة الثانية الوحدة الرابعة

(كبير التجار بجانبه جارية تمسك عوداً)

الجـاريـــــة : هذه ليلتك ياسيدي (صمت) .. أرى بالك مشغولا عني.

ك التجــار : كعادة التجار ياجارية.. التفكير في البضاعة أولا.

الجـاريـــــة : انا بضاعتك الليلة بعني واشتريني .. فأنا ثروتك الخالدة .. خذني إلى أسواق تعرفني وأعرفها، إلى أسواق فاس والكرخ والقدس والقاهرة وعمان وحضرموت ويثرب... فأنا الأغلى والأبهى.

ك التجــار : (ضاحكا) .. في المبادلة ربح سريع ياجارية .. والنوع الواحد لاينفع. العملة لها وجهان تصبح وتمسي .. إني أرفض الدرهم والفلس الكسول في خزائني.

الجـاريـــــة : مهنتي أن أرفع عن سيدي همومه الصغيرة .. أنا بلسمك الليلة .. مرني أعتصر في كأسك ثروة غالية.. لاتبعني في أسواق العجم.

ك التجــار : هم البضاعة يراودني عن نفسي، وأنا لاأحب فضول الناس.

الجاريــــة : أعطيتك عيوني ووهبتك كل ثماري الناضجة..

ك التجــار : دعيني ياجارية.. سياق الأرقام يغريني.. أعشقها مزدحمة بين يدي.

الجاريــــة : دعني أنسخ أرقامك المجنونة في جسدي .. (صمت) .. إشرب كأسك طافحا فلربما أنساك صوت عودي لغو المضاربة في الأسواق وبورصات العالم.

ك التجــار : سأطبعهم جميعا بشارتي المتميزة .. هذه المرة لن يفلتوا من قبضتي.

الجاريــــة : انك تبيعني ياسيدي رخيصة .. مثلما تبيع أي شيء في المدينة !!.

ك التجــار : انا حاجتهم وهم مجرد أرقام.. في كشف حساباتي المقبلة.

الجاريــــة : أرجوك.. أرجوك.

ك التجــار : انصرفي واستعدي للبيع .. (تخرج الجارية).

(يدخل شيخ الدراويش من الباب السري لمجلس كبير التجار)

ش الدراويش : وحدك .. أين ذهبت جاريتك المفضلة (صمت) .. آه .. لو لم ترشدني إلى هذا الباب السري لافتقدتني اليوم.

ك التجــار : ما وراءك !؟! حدثني عن مشروع أتباعك .. (صمت).. متى توزعهم في الامصار حتى تكتمل بضاعتك وتسود الهدنة !! اني

لاأستطيع ياعزيزي أن أضمن وجودك وتبرير تأخيرك في التنفيذ لحاكمنا هولاكو .. (صمت) .. مجلس التجار هو الآخر يطلب مني البرهان.

ش الدراويش : (يصب الخمر ويشرب بشراهة) .. نكهتها غريبة.

ك التجـــار : ماذا تحمل .. أين وصلت الدعوة المباركة.. هل ازداد عدد اتباعك (صمت) ..لاتحاول هذه المرة أن تطلب مني المزيد من الدعاية والتمويل.

ش الدراويش : **(يزيل لحيته التنكرية ويتابع الشرب بشراهة)**.. انتشرت العدوى ياصديقي، أفسد اتباعي رجل غريب الكلام. حاولت أن أقنعهم وأجعلهم يخافون أنفسهم وان عصيانهم لي هو معصية كبري لاتغتفر.

ك التجـــار : إنك تساومني، في كلامك رائحة الخيبة والفشل .. لاتنسى أن هذا يعرضنا جميعا لمقصلة هولاكو ويعرض بضاعتنا للصعاليك.

ش الدراويش : (يبدأ في السكر) .. رجل كالعاصفة أحرق كل ما أبدعت من الخيال في الزهد والتصوف (صمت) .. صدقني ياعزيزي كانوا على كتب من أن يلمسوا الباب الوهمي.

ك التجـــار : ماذا أسمع أنت مكلف بإشاعة الخشية والزهد في الناس (صمت) .. وعلى كل الناس والاتباع أن يحاربوا الظلم من خلال هذا الزهد اللذيذ !! (صمت) .. فشلك يقلق قوافل التجار ويبعث في أسواقهم رعب الكساد، ويوقظ الصامتين والمغبونين في وضح النهار.

ش الدراويش : .. (ضاحكا) .. حاولت ياصديقي (يشتد سكره) .. ربما كانت دعايتكم ووساطتكم ضعيفة.. (صمت) .. انا في حاجة إلى مجلات وصحف في الداخل والخارج، تدعو إلى هدنة مستمرة (سكران).. أبلغ التجار ان شيخ الدراويش لن يخفي الشمس بغربال من جلد ذئب نتن ..(صمت).. انا في حاجة إلى شعراء متخصصين في البكاء والنواح على الاطلال، يبثون شكواهم براكينَ في قصائد عصماء (صمت).. أبلغ مجلس التجار الموقر بأني في حاجة إلى رسامين وملحنين لأناشيد حماسية.. ومتكلمين فلاسفة يُتقنون فن الخطبة (ضاحكا) بضاعتي لاتشبه بضاعتك ... بضاعتي كالأرضة ودودة الخشب لاتشبع من الحفر في تلافيف العيون والأدمغة (ضاحكا).. يجب أن نجعلهم يحقدون في الكلام والتسبيح.. حتى نصنع من أحقادهم

طعماً حقيقا لاينفد.. (صمت).. انا في حاجة إلى هذا القرص العجيب المسكن حتى أوقظ في اتباعي دفع المنكر في الحضرة القادمة.. أريد ياعزيزي أن أصنع من حقدهم بساط الريح.. (صمت) الحقد حطب.. الحقد حطب هذا العصر الموبوء. سأملأ أشداق فرني منه.. فأنا أعرف متى يُنضج لهيب الحضرة خبزَ الجائعين والحاقدين.

ك التجــار : .. امسح من ذاكرتهم حب الأرض.. أنت شيخ الدراويش.. طريقتك هذه يجب أن تسود العالم.. في خلق الوئام والسلام على الأرض.

ش الدراويش : .. (يشتد سكره).. أمنيتي أن أجد جاريتي في الجلسة القادمة.. عفوا جاريتنا معا !! (صمت).. كانت هنا تعزف على أوتار قلبي (صمت).. كنت أرى في صوتها النجوم ترقص بجنون في كبد السماء (ضاحكا).. أريد أن أنسى أتعابي (صمت).. صدقني ياعزيزي ياكبير التجار.. أيها الصديق الحميم (صمت) .. من قبل كانت العمامة واللحية قبلة المتخشعين وملجأ الهاربين من الجحيم.. لكنها الآن كومة من القش يحزمها عقال (ضاحكا).. لم تعد تخفي جحيمها الحقيقي

(صمت).. الريح، الاعصار ياكبير التجار (يسقط ثم يقوم).

ك التجـار : لن تصل بضاعتي إلى أسواق العجم. !؟!

ش الدراويش : .. امنحني ليلتي الموعودة .. فالزمن لايرحم (صمت).. أسألك ما اسم بضاعتك، أي علامة تحمل !؟ (صمت) .. النـاس (ضاحكا) .. أنا مكلف بتخدير جرحهم العميق وإزالة العنف من مناطق معينة في الدماغ الغريب .. آه .. أما أنت فهمك الوحيد هو أن تفصلهم عن التفكير والأرض لكي تبيعهم عبيدا إلى أصدقائك العجم (ضاحكا).

ك التجـار : .. لابد من البحث عن الزهد ياشيخنا.

ش الدراويش : .. الزمن لايرحم .. امنحني ليلتي (صمت).. نعم حاولت ان أفتح لهم أبواباً تلتصق بسلم طويل يسمو بهم إلى أعلى.. الأعلى (ثم يشير بالسقوط).. كان سلاحي عمامتي ولحيتي وعكازي (ضاحكا).. انظر هذه أسلحة المهرجين ياكبير التجار .. لم تعد تغري الكبار والصغار (صمت) .. أين ذهبت جاريتي.. عفوا جاريتنا المشتركة، بعتها ياكبير التجار أم استبدلتها بسلعة أجنبية.

ك التجـار .. هذه المرة لم أبعها و لم أستبدلها بسلعة أخرى (ضاحكا).. أشفقت على حالها

(صمت).. أنعمت عليها بجواز سفر.. منحتها مسافة أكبر من ساحة قصري.

ش الدراويش : .. تؤجرها للروم من أجل العملة الصعبة !؟

ك التجـار : .. من يملك جسدا مثلها يملك الذهب (صمت).. هاجرت من أجل أن تعتق نفسها من الجوع الكافر.

ش الدراويش .. ويحك انا الخاسر مرتين.

ك التجـار : .. زهدك المغشوش لن ينفعها (صمت).. مائدة التجار لاتقبل منافسا في الأسواق إلا تاجرا محنكاً (صمت).. بيوت العجم كأسواقهم تسودها الطمأنينة والسلامة (صمت).. إنك تنقض معاهدتنا السرية جهرا ياشيخنا.. أيها الصديق الحميم.. من تراه يحمي بضاعتنا وأموالنا إذا أغار الصعاليك !؟

ش الدراويش : .. (يشتد سكره).. انا.. انا الاخر أسألك.. أي العلامات أعطيت لهذه البضاعـة الجديدة !؟

ك التجـار : .. حان وقت السوق ياشيخنا.. إلبس لباسك.. انصرف الآن.

ش الدراويش : ..أريد جاريتي (يسقط).

البابة الثانية الوحدة الخامسة

(يظهر طيف الخيال يخاطب ابن دانيال الشارد)

ط الخيـال : لنبدإ الموضوع يامعلمنا.. افتح الستارة.. وانسج للجموع عبارة.. امسح عيون الناس الطيبين.. فالحقيقة كحل العيون المرمدة.

(تظهر الكراكيز مشنوقة ومصلوبة موزعة بين الجهتين)

ابن دانيـال : .. حضرت، هاأنا أحمل ذاتي.. وأبحث عمن يطلق سراح العصفور، من يفصلني عن عادة السجن.. داخل الأقفاص الموضوعة في كل مكان .. السجن في الأذن.. السجن في السواعد.. السجن في العيون.. السجن في اللسان.. (صمت).. من ينسيني التقليد في الحياة !؟ حتى أكون الخطوة الأولى في الكلمة .. من جملة الاعصار القادم (صمت).. آه ماذا أقول وأنا الذي تخليت عن كراكيزي.

ط الخيـال : .. أنت فلاح هذه الأرض وحطابها.. تبذر وتغرس.. فأسك يامعلمنا يرفض أن تسود في هذه الأرض جذور الطحلب.

ابن دانيـال : .. كان علي أن أنقذها ياطيف الخيال من التشرد (صمت).. هذه المدن أجهل ناسها لأدري متى وصلت (صمت).. مدن الطحلب (صمت).. والطحلب يملأ الآذان والعيون (صمت).. في طريقي رأيت العديد من اللاجئين والشيوخ والأطفال.. والمحاصرين (صمت).. فكرت في الكلام ياطيف الخيال فلم أجد حرفا يسكن لساني وجدتني صحراء قاحلة تلبس السراب.

ط الخيـال : .. لسانك مسرح الناس يامعلمنا.. والمسرح مهدوم.. انظر (يشير إلى الكراكيز المشنوقة والمصلوبة حوله)... هذه أشجارك وبساتينك الخضراء التي غرست الأمس تفزع الغربان والدخلاء، إنها أشجار الأرز في لبنان المحترقة، أشجار الزيتون في القدس الحزينة.. أشجار النخيل في بصره الزنج... أشجار البن في اليمن السعيد.. أشجار الحناء في مراكش النافرة.. كلها يامعلمي تحمل مصابيح العودة.

ابن دانيـال : لا..لا.. كنت أتق في الكحل.. من أجل أن ترى كل العيون رسم الخطوة الأولى ودرجة السلم، (صمت) منذ ألف عام، وخيمة الرمل ماتزال تحمل في رحمها البنت الموؤدة قبل الفجر، هاأنا أمثل دور الخادع والمخدوع..

(تسمع أصوات، يدخل الدراويش)

الدرويش 1 : انتظر ياحكيمنا.. أريد بعض الكلام حتى أرثي ابني المقتول في غزه.

الدرويش 2 : انتظر ياحكيمنا.. فقد مللت الوحدة في السير.. اعطني بعضا من كحلك حتى أكتشف مفتاح بيتي.

الدرويش 3 : لم أستطع ياحكيمنا أن أعيد بناء الحائط المهدوم .. أريد سقفا لجدرانه.

ط. الخيال : لنبدأ الموضوع يامعلمنا.

ابن دانيال : الفعل ليس كالكلام .. تبخرت أسطورة الكحل (صمت) .. كل المدن ملأى بالعميان والخرس.

ط الخيال : الجزء كل .. والكل جزء يامعلمنا.

ابن دانيال : دعوني أرحل لعلي أجد في راحة هذه الأرض خيطا يشدني ... فمن يشربني فترتوي عروقه، يأكلني فيشبع، أنا السفينة الضائعة .. من يعيرني القمرة والمجداف .. من يركبني إلى جزائر أحلامي .. (صمت) .. وهذا البحر لايرحم راكبه.

ط الخيال : نحن الربان يامعلمنا.

الدراويش : نحن المجداف والقلاع والصاريه.

(يشكلون السفينة ويقومون بحركة التجديف بينما يقف ابن دانيال في مقدمتها).

ابن دانيـال : أنا الطريق .. أنا الشمعة من يسعفني برفقة خاطر بريء يشد القلاع إلى الصارية !؟.

الـــدرويش : نحن الحبال والصواري ياحكيمنا .. اعقد برأسنا القلاع.

ابن دانيـال : (يتابع كلامه بغير مبالاة) .. هذا جسدي ممتدة أخشابه.. طافية تعانق المدى والمدار.. يحمل خيبة الأمل والنواح، والبنتَ الموؤدة قبل الفجر، أريد مطرا يحرر كل الرؤوس من عقالها.. (صمت).. هذه يافا !؟.

ط الخيـال : ميناء العودة يامعلمنا.

ابن دانيـال : ميناء الجرح.

الدرويش 1 : أرى زوجتي أمام الباب تلوح لي بغطاء رأسها الوردي المطرز.

الدرويش 2 : أنظروا.. أرى أهل الحي يشربون قهوتهم ويتحاكون.. يعيدون سيرة عنترة العبسي.

الدرويش 3 : أرى سنديانة بيتنا الباسقة، والنخلة وشجرة النبق .. وآثار الطفولة .. (صمت).. أرى الحرف الأول المحفور من إسمينا يشع في جيد الشجرة ».. نحن نعود .. نحن نعود.

ابن دانيـال : هذه يافا .. غرسها لن يشبع.

الـــدراويش : (يجدفون بسرعة) .. نحن الربان ياحكيمنا .. وهذه الموجة السوداء ماتزال تخفي عنا وجه المدينة.

ط الخيـال : ميناء البصرة ودمشق والقاهرة.. موانىء نائبة وهذه الريح تعاكس المجداف، لنقاوم فعل التيار الجارف..

الدرويش 1 : أرى زوجتي أمام الباب تلوح لي .. يداها سنبلتان.. ناضجتان.

الدرويش 2 : أراهم يصبون القهوة .. ويزفون العروس.. أسمع زغردة النساء تزكى ليلة الدخلة.

الدرويش 3 : أسمع صوت المؤذن يشق كبد السماء، والقدس تسبح وتؤم الجموع صفا واحدا.

ط الخيـال : مازلتم خلف الستارة وهذه ظلال أدواركم.

ابن دانيـال : ها أنا أظمأ لقهوتكم الساحرة.. وللنداء المشروخ في المآذن المثقوبة اللسان يترع كأسي الحزينة.. ياقدس متى أكفر عن ذنب الغربة (صمت).. لعبة التشخيص لم تحل عقدة لساني.

ط الخيال والدراويش : (**بصوت متناغم يرددون مع التجديف أو مع حركة التجديف**)...

نرحل.. نرحل.. لكننا نشتاق إليك ياياقا..
يازيتونة مشتعلة.. ياكتاب الموانىء المنسية ..
مثلما يشتاق المطر لأرض الأنبياء.. امسحي
يارياح قلاعنا ووجهنا، الصبح أقبل.. أقبل..
فمثلما نرحل نعود ليلة جديدة.. نورق في
العيون.. نهارا وورودا يانعة.

ابن دانيـــال : ما تزال قلاع الجسد المحموم تستهويها الرياح.

ط الخيـــال : لنفرغ الحمولة في هذا الميناء.. حتى نضمد جراح الأطفال ونسقي الشجرة.

ابن دانيـــال : بداية الفعل أكبر من جسدي.

الـــدراويش : (يتوقفون عن التجديف).. نحن الربان ياحكيمنا فلنفرغ الحمولة، فقد ازداد شوقنا لعناق الأطفال.

ابن دانيـــال : أنا لاأبيع.. أنا أعطي .. أريد وجها يعرفني حتى ترسو السفينة

ط الخيـــال : جسد السفينة التصق بالبر.. والمرساة في القاع.

ابن دانيـــال : ماتزال قلاع الجسد المحموم تستهويها الرياح.

(يدخل كبير التجار وشيخ الدراويش متنكرين).

ش الدراويش : (يهمس في أذن كبير التجار).. انه هو .. صاحبي .. لن يفلت هذه المرة من قبضتي.

ك . التجـــار : (يتقدم) .. مرحبا بكم جميعا .. لاشك أنكم تحملون بضاعة نادرة، حريرا وتوابل وأحجارا كريمة.

ابن دانيـــال : أخطأت الطريق إلى السوق والبورصة يارجل. .

ك التجـــار : أنا كبير تجار المدينة وأمينهم .. أحمل ثقة

الجميع .. وأحمي البضاعة من الغش والتزوير فمن تكون في مراتب التجار وما نوع بضاعتك !؟!

ابن دانيـال : أنا الناس والمدينة جئت أكشف حقائق المرفوض .والمحظور !!

ك التجـار : (غاضبـا).. مـاذا أسمع.. هـذه تجارة الصعاليك !!

ش الدراويش نعم .. تجارة الصعاليك مرفوضة في أسواقنا.

ط الخيـال : أيها الناس، الليلة تشاهدون أنفسكم افتحوا أعينكم جيدا فأنتم فكرة الموضوع.

المنــــادى : (صوت).. ياسكان البابة الثانية .. باسم حاكمنا الموقر هولاكو الملقب بموشى ديان .. من رأى منكم شخصا أو شبه له أو أشخاصا .. أو .. أو .. أو فليسرع بالإبلاغ عنه، الجائزة الكبرى تنتظره.

ك التجـار : في المبادلة ربح التجار.. أشم في بضاعتك خسارة السوق.

(شيخ الدراويش يزيل اللثام والتنكر).

الـــدراويش : شيخ الدراويش المزيف !!

ابن دانيـال : ماتزال قلاع الجسد المحموم تستهويها الرياح.

الـــدراويش : نحن الربان .. وهذه الموجة السوداء لن تخفي عنا أهل المدينة.

(شيخ الدراويش يخرج صفارة ويصفر

يدخل جنديان كل واحد منهما بعين واحدة)

الجنـدي 1 : **من يعارض إرادة هولاكو !؟**

الجنـدي 2 : أين المجرم .. (شيخ الدراويش يشير إلى ابن دانيال).

ش الدراويش : أريد الليلة أن أدخل من الباب الرسمي .. فقد أتعبني التخفي والولوج من الأبواب السرية.

ك التجـار : (ضاحكا) .. بعد تصريف البضاعة خارج السوق .. (ضاحكا)

ابن دانيـال : ها أنا أجرب فعل الكلمة.

الـدراويش : نحن الربان، وهذه الموجة السوداء لن تخفي عنا أهل المدينة.

البابة الثانية الوحدة السادسة

(المكان مفتوح بين مجلس كبير التجار والمحكمة وقفص الاتهام حيث يقف خلفه ابن دانيال)

القـــــاضي : (بين كبير التجار وشيخ الدراويش يرفع الكأس).. في صحة العدالة حان الوقت.

ش الدراويش : كاسا ثانية.. في صحة قاضي القضاة .. والقانون .. (صمت) .. حتى تنتشي وترى حقيقة مايجري.

ك التجـار : إحذر فقد يخونك لسانك .. فتنطق بظروف التخفيف أو تبرىء المتهم.

القـــــاضي : (يشرب ثانية) .. في صحة العدالة (ينتقل إلى كرسي المحكمة يواجه ابن دانيال) ازددت في الموصل ثم انتقلت إلى القاهرة، احترفت مهنة التمثيل .. بعد أن كنت حكيما تداوي عيون الناس من الرمد والعمى .. ثم ضبطت وبحوزتك كمية من **(يلتفت إلى كبير التجار وشيخ الدراويش من المجلس مستعينا بهما)** .. من ماذا .. من ماذا.

ش الدراويش : (واقفا) .. افترض ياقاضي القضاة .. سميها ماشئت. الغاية من محاكمة أمثال هذا المتهم

هي إلصاق التهمة .. وتضخيم الجريمة أليس كذلك ياعزيزي !؟!.

ك التجـار : نعم .. اختر له تهمة معقولة.

القـــاضي : حسنا (يخاطب ابن دانيال) كنت تنوي إثارة الفوضى والقلاقل، أنت مدفوع .. وبهوس مجنون .. أليس كذلك !؟ انتبه هذه تهمة خطيرة .. (يلتفت إلى مجلس كبير التجار وشيخ الدراويش).

ش الدراويش : (يرفع إشارة النصر) .. هنيئا للعدالة .. اكتشفت الجريمة.

القـــاضي : ماذا يقول المتهم ؟.

ابن دانيـال : أنا ابن دانيال المخايل الحكيم .. واحد من الناس .. وبين الناس أعيش اكتشفت، في الظل حقيقة الأشياء المتحركة، فأردت البوح بها.

القـــاضي : كان عليهم أن يفكروا في استنطاقك أكثر من مرة (يعود إلى مجلس كبير التجار).

ش الدراويش : آوه.. أتعبتك جلسةُ الحكم.

القـــاضي : (يشرب منتشيا) .. هذه خمرة غريبة.

ك التجـار : مستـوردة خصيصا لحمايـة السوق والعدالة... (صمت)... بماذا تتنبأ لمتهمك الغريب !؟!.

القـــاضي : (منتشيا).. اطمئن ياعزيزي لن يفلت من

قبضة العدالة .. (صمت) .. ينتظره حبل المشنقة .. (ضاحكا) .. من يفكر في نوع آخر من الأحكام الخفيفة (يعود إلى المحكمة) تكلم يا ابن دانيال .. يقال انك أفسدت الصغار والكبار.. بل أنت الوحيد الذي أقحم أنفه في شؤون الكبار.

ابن دنيال : ذنبي أني أحمل عينين فقط.

القاضي : ماذا أسمع ؟

ش الدراويش : (ينادي القاضي).. كأسك ياقاضي القضاة (يعود القاضي بسرعة إلى المجلس).

القاضي : كلام هذا المتهم يخنقني ويفسد علي ذوقي الرفيع.

ش الدراويش : أفسد اتباعي قبلك.. فضحني حتى أصبحت لا أتحمل حتى نفسي.

ك التجار : عانينا من أتباعه الصعاليك، من الحمالة والعاطلين والخماسة.. جعلهم يفكرون في اقتسام فائض الأرباح معنا.. نحن التجار !!.

القاضي : أشكركما أنرتما الطريق أمامي.. انه بالفعل جامع لكل أنواع التهم لولاكما لضلت العدالة، وفقدت رشدها ورزانتها المعروفة.

ش الدراويش : (سكران يحاول القيام فيسقط) قال .. قال.. أنا عنكبوت.. وأفكاري عنكبوتية، أصارحكما بعد الفضيحة، شعرت بأني أحمل رأسا تملؤه العناكب !! آه لو لم تسترني

هذه العباءة واللحية والعقال لانكشف أمري للناس.. تصوروا، استطعت بذكائي أن أجنب نفسي الخسارة، وأثبت للسيد هولاكو نزاهتي.

ك التجـار : أنت عنكبوت (ضاحكا).

القـاضي : (ينسحب).. سأعود بعد أن أتدبر أمر هذا المجرم.

ش الدراويش : لاتنسى ياعزيزي.. ياقاضي القضاة أن تعود بسرعة إلى أحضان كأسك..

القـاضي : (لابن دانيال).. تستطيع أيها المتهم الخطير أن تدافع عن نفسك (صمت).. لكنني أنصحك، ماذا تريد أن تقول، وأنت المذنب في حق رجل ورع مستقيم ومخلص (يشير إلى شيخ الدراويش الذي يحرك رأسه استجابة).. تكلم لاحجة لديك... تكلم ماذا تريد أن تقول وأنت الذي.. وأنت الذي.

ش الدراويش : عاش قاضي القضاة.. عاش قاضي القضاة.

القـاضي : ولم يكفك هذا، ساهمت في إذكاء النار بين الحمالين والخماسين، واتهام كبير التجار بالسوق السوداء والزيادة في السكر والشاي والزبدة.. هذه تهمة لاتغتفر.

ك التجـار : عاش قاضي القضاة.

القـاضي : ماذا تريد أن تقول، وأنت الذي تفتش عن

الصغيرة والكبيرة من أجل أن تفضخ المخلصين (ك التجار وش. الدراويش يحركان رأسهما استجابة).. تكلم اني أسمعك جيدا.

ابن دانيال : كنت أريد ياسيدي القاضي، أن يستظل الناس، بل كل الناس بنفس الشجرة.. الشجرة المثمرة، لكني كنت أرى من يسرقها.. ويقطع أغصانها.

القاضي : تتهمهم بالسرقة (صمت).. ملفات شرطة السيد هولاكو، تشير إلى أنك انتقصت من نزاهة الحاكمين والولاة.

ابن دانيال : هذه المدن يحكمها الغرباء والدخلاء.

القاضي : ماذا أسمع.

ك التجار : اسأله ياعزيزي القاضي.. من يحمي بضاعتنا وقوافلنا وخزائننا !؟.

القاضي : نعم.. السيد كبير التجار على حق.. وأنت على باطل.

ش الدراويش : اسأله ياعزيزي القاضي ماذا يريد من أتباعي ..لاسامحه الله، جعلهم ينحرفون عن الطريق ويتجرؤون في مناقشتي !! أنا الذي سهرت على تنظيف أرواحهم من دنس الدنيا الفانية.

القاضي : نعم أنت محق ياعزيزي ياشيخ الدراويش (لابن دانيال) .. جرائمك كثيرة في ماذا تفكر.

ابن دنيـال : أفكر في الصحو ياسيدي القاضي .. فالصحو خمرتي.

القـاضي : أنت الآخر تسكر في المدن الطاهرة !!.

ابن دنيـال : أنتشي وأفرح وأرقص ياسيدي القاضي.

القـاضي : .. عجب.. عجب.. عجب.

ش الدراويش : .. لا تثق في رقصة الصعاليك.

القـاضي : رفعت الجلسة (يعود إلى مجلس النجار).

ك النجـار : .. (يقف لتهنئته) .. أهنئك ياعزيزي .. فقد تفوقت على عدونا المشترك، وأظهرت للناس كيف يطول ومتى يطول لسان العدالة (صمت) .. في أي كليات القانون درست، فعلمك ياعزيزي غزير، وعلى أيدي من درست !؟.

القـاضي : .. (بعد أن يشرب كأسه) .. أنا في الحقيقة لم أعرف كلية في حياتي، ولكني ساهمت في تأسيس كثير من الكليات القانونية في العالم .. خبرتي في الحياة كبيرة، فبعد أن قضيت مرحلة مهمة في السمسرة صعدت .. ارتقيت لأصبح في الأخير مدير دعاية لأحد المرشحين في الانتخابات .. وبعد أن أثبت جدارتي في تقلد جميع المناصب المستعصية .. ارتقيت .. ارتقيت .. ارتقيت لأصبح قاضي القضاة !!.

ش الدراويش : .. تذكرني بنفسي .. آه .. علمتني، «بارات» الدنيا ولياليها أن أزهد في الحياة لكن مجلس عزيزي كبير التجار، كان يغريني .. فأنخرط في تصوف لذيذ (ضاحكا).

ك التجار : .. لاتنسى، أنك موظف في سلك الحاكم السيد هولاكو.

القاضي .. ياجماعة الخير .. جئت لأستشيركم في نوع الحكم.

ش الدراويش .. كأسك ياقاضي القضاة.

القاضي : .. أريد حكما يليق بالقضية .. فأنا الآخر مطالب بتقرير رسمي عن كيفية تنفيذ الحكم، وبعدها أتحرر من سلك القضاة .. فقد أصبح زعيم حزب معارض في الخارج والداخل، وبهذه المناسبة .. أدعوكم إلى الانتماء.

ك التجار .. عاش قاضي القضاة.

ش الدراويش .. عاش زعيمنا الجديد.

القاضي : .. (سكران) .. أشكركما .. وبهذه المناسبة سأنطق بالحكم الذي يحرر قوافل التجار .. ويسكت فقراء الصعاليك (ضاحكا) .. سيف العدالة هو سيفكم ياأعزائي فاضربوا الرؤوس يمينا وشمالا.

ش الدراويش : .. عاش قاضي القضاة.

القاضي : .. أعرف ماسيدور في بالكما .. لنشترك جميعا

في صياغة الحكم .. ما رأي كبير التجار ؟.

ك التجـار : .. سأدفع لمراسلي الجرائد، وكل الذين يكتبون، أشتري منهم نزاهة الأقلام .. وأجعلك بريئا، استلك شعرة من العجين .. حتى لاتتهم بالتجني على مخايل فقير..

ش الدراويش : .. أما أنا فسأكتب خطبة عصماء .. تدعو إلى التضامن مع عدالتك.

القــــاضي : .. والآن .. لنشرب معا نخب صياغة الحكم.

(يشربون ضاحكين .. ثم ينسحب القاضي ببطء ملحوظ إلى المحكمة)

باسم العدالة، باسم عدالة حاكمنا هولاكو .. وباسمنا .. وباسم النزاهة والعدالة .. أنت مجرم خطير .. خطير .. خطير .. وبما أنك أثرت القلاقل، وحرضت الصغار والكبار على رفض ولاة وأتباع حاكمنا الموقر هولاكو فقد تقرر التخلص منك .. فماذا تقول ؟

ك التجار والدراويش : عاش قاضي القضاة وحامي العدالة.

ابن دانيـال : .. أبلغ الناس .. أني وصلت وأن مرساة سفينتي في العمق ..واني أرى المدن محاصرة .. واني أسمع صيحة الأطفال.

القــــاضي : قل كلمتك الأخيرة .. فأنا مرتبط بموعد.

ابن دانيـال : .. أبلغ الناس ياسيدي القاضي أني نكست القلاع .. وان البابة الثالثة بداية الفعل.

القـــاضي : ماذا أسمع، تتابع نشر زندقتك سأنطق بالحكم !؟

الدراويش وك التجار : .:. حكمك ياقاضي القضاة.

القـــاضي : نعم.. باسم أولياء المدنية، أنت مجرم .. لكنني سأعطيك ظروف التخفيف هل تفضل الصمت .. أم تفضل الاختفاء !؟ ظهورك جريمة بين الناس.

ابن دانيـال : ماذا أفعل إذا كنت أسمع من يستغيث .. يستجيرني .. بيروت تحترق، والقدس يدنسها الأعداء والأشقاء.

القـــاضي : (مقاطعا) .. تستطيع أن تصمت.

ابن دانيـال : لن أصمت.

ش الدراويش وك التجار : (**يقفان وفي أيديهما قنالي وكؤوس يعلنان بصوت واحد**) حكمت المحكمة حضوريا على زعيم الصعاليك بالشنق (**يصفق القاضي**).

الباية الثانية الوحدة السابعة

(يدخل طيف الخيال .. يدفع العربة الصندوق .. يجمع الكراكيز المصلوبة والمشنوقة ويضعها في العربة)

ط الخيـــال : .. أيها الناس .. أبلغوا الأطفال .. أطفال المدن المحترقة، أطفال المدن المسجونة، أطفالكم أطفال الغد .. هذه صور الحقيقة المتحركة خلف الستارة .. اختاروا في أعيادكم المقبلة كراكيز جميلة لتشخصوا بداية الفعل .. قولوا في التقديم .. اصرخوا .. نطالب بمسرح يعلن الحقيقة، يدين التجارة في الناس .. أيها الناس حركوا كراكيزكم المقبلة، شمالا ويمينا من أجل أن يتحرك الوطن .. وأشجار الوطن .. طرق الوطن .. حجر الوطن .. بحر الوطن، فالباية الثالثة بداية الفعل !! هذا مسرح ابن دنيال .. وأنا الوصية الصارخة .. وأنتم الوارثون ياأطفال هذا الوطن، حركوا كراكيزكم المقبلة، من أجل أن يتحرك الوطن أشجار الوطن .. بحر الوطن حجر الوطن.

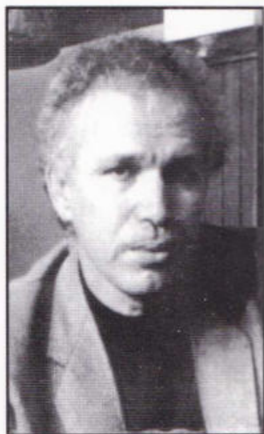
ســتــارة

صدر للمؤلف

- سرحان.
- العقرب والميزان.
- ست مسرحيات للطفل.

مطبعة المعارف الجديدة - الرباط
2001

ابن دانيال هو الشخصية المحورية في نص مسرحية البحث عن رجل يحمل عينين فقط، بل هو الرجل الذي رأى في مسرحية المسكيني الصغير والذي يلبسه فعلا بُعْدَ ودلالة المؤلف / المخايل، إذ يدخل في حوار مع شخوصه والتي هي من خلقه هو، مما يجعل لعبة التمثيل تتضح أكثر كمتخيل، حيث يتحول هذا اللعب إلى محاكمة، محاكمة الشخصيات لموجدها / متخيلها، أصلا وهذه الفكرة تتكرر في كل النصوص المسرحية التي أبدعها المسكيني الصغير، خاصة مسرحية مذكرات رجل يعرفهم جيداً، شهرزاد الزعيم / الجندي والمثال، ولعل الداعي لهذا الإستلهام يعود للمعطى النظري الذي تقدمه أوراق المسرح الثالث التي ينتمي إليها المسكيني الصغير والتي تجعل قاعدة هذه التجربة المسرحية هي التاريخ والتراث من منطلق الراهن الذي هو العين الرؤية.



المسكيني الصغير